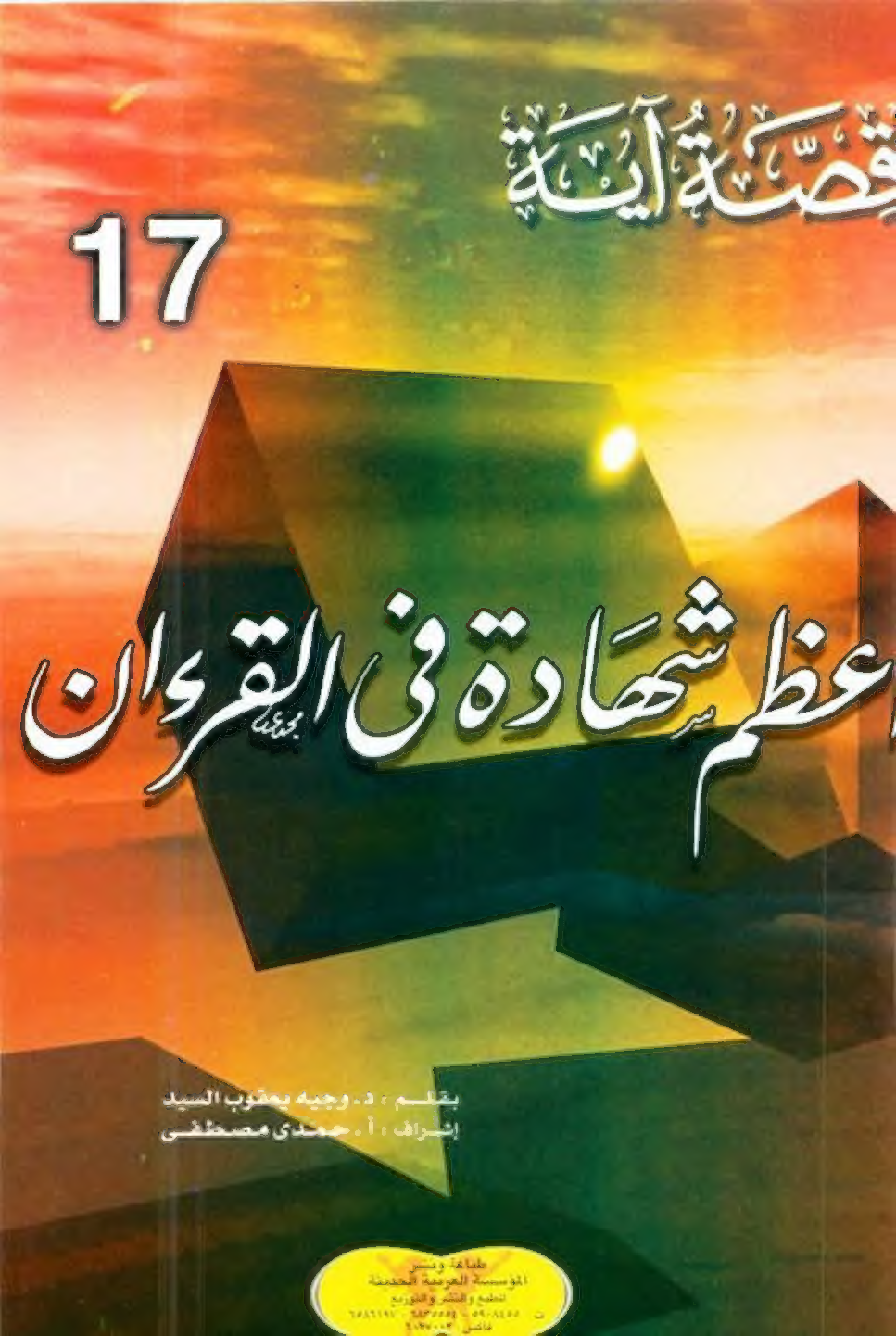

قصة آية
17
أعظم شهادة في القرآن
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قالَ (تعالَى) :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة آل عمران : ١٨]

كانَ رجُلانِ منْ عُلَماءِ أَهْلِ الْكتابِ يتدَارسانِ التَّوْراةَ فقالَ أَحَدُهما للآخرِ :

ـ هَذا واللَّهِ الزَّمَنُ الذى يَظْهَرُ فيهِ نَبىٌّ آخِرِ الزَّمانِ .

فأجَابَه قائِلاً :

ـ أَجَلْ فقدْ آنَ الأَوانُ لكَى يَبْعَثَ اللَّهُ النَّبِىَّ الذى يَدْعُو الناسَ إِلَى الْهُدَى ودينِ الْحَقِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه ، ويُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

واتَّفَقَ الْعالِمانِ علَى الْخُرُوجِ مِنْ أَجْلِ الْبَحْثِ عَنِ النَّبِىِّ الْعَرَبِىِّ الذى يَظْهَرُ فى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، ويُهاجِرُ منْهَا إِلَى يَثْرِبَ لِنَشْرِ الدِّينِ الإِسْلامِىِّ .

وبَعْدَ بَحْثٍ مُضْنٍ وَصَلَ الْعالِمانِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ الَّتِى كَانَتْ تُسَمَّى

يَثْرِبَ ، فسَألا رَجلاً مِن أَهْلِ الْمَدِينَة :

ـ لقَدْ سَمِعْنا بِنبىٍّ ظَهَر هذه الأَيَّامَ يدْعُو إِلى الإِيمانِ باللَّه ويأْمُرُ النَّاسَ بمكَارِمِ الأَخْلاقِ .

فأَجابَ الرجُلُ :

ـ إِنه مُحمدٌ ﷺ ، نَبِىُّ الرَّحْمَةِ والنُّورِ ، إِذا أَردتُما مُقابَلَتهُ فهوَ فِى بَيْتِ أَبِى أَيُّوبٍ الأَنْصارِىِّ ، أَو فِى الْمَسْجدِ لأَداءِ الصَّلاة .

شكَرَ الْعالمانِ الرَّجُلَ وانْطَلَقا إِلى حالِ سَبِيلِهِمَا ، وفِى الطَّرِيقِ إِلى مُحمدٍ ﷺ وقَفَ الرَّجُلانِ طَويلاً يتَناقَشَانِ فِى أَمْرِهِ ﷺ .

قال الأَوَّلُ :

ـ هذه الْمـدينَةُ بِنَخـيلِها وطَبِيعَتِها هى نَفْسُ الْمَدِينَةِ التى ذُكِرَتْ فى التَّوْراةِ !

فقالَ الثَّانِى :

ـ أَجَلْ ، واسْمُ النَّبِىِّ هو مُحَمَّدٌ ﷺ ، وهو نفْسُ اسْمِهِ فى التَّوْراةِ ، فإنه محمدٌ وإنه أَحْمَدُ !

ـ إذن علَينا أَنْ نُسْرِعَ حتى نَلْقَى رسُولَ اللَّهِ ﷺ ونَسْمَعَ مِنْهُ .

ـ ولكنْ علَيْنا أَنْ نَحْتَاطَ ، فنَحْنُ أَهْلُ كِتابٍ وعَلَيْنا أَنْ نَخْتَبِرَ صِدْقَ هذا الرَّسُولِ

حَتى يَكُونَ إيمانُنَا على بَيِّنَةٍ ، فإننا لَمْ نَقْطَعْ كُلَّ هذه الْمَسَافَةَ إلا بَحْثاً عَنِ الْحَقِّ وَوُصُولاً إلَى الْحقيقَةِ .

ـ بالتأكيد سَوْفَ نتأكَّدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَبِمُجَرَّدِ أَنْ نَرَى مُحمداً ﷺ سَوْفَ نعرِفُهُ مِنْ مَلامِحِهِ ، فَهِيَ مَذْكُورَةٌ في التَّوْراةِ كَذلِكَ .

وَمَضَى الرَّجُلانِ في طَرِيقِهِمَا ، حَتَّى دَخَلاَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَحَّبَ بِهِمَا وَأجْلَسَهُمَا بِجِوارِهِ وَرَاحَ يُنْصِتُ إِلَيْهِمَا في اهْتِمَام . وَما إِنْ وَقَعَ نَظَرُهُمَا عليهِ ﷺ حَتَّى قَالاَ :

ـ واللَّه إِنَّ النَّورَ الذى يَنْبَـــعِثُ مِنْ وَجْهِهِ ويُضِيءُ ما حَوْلَهُ لَهُوَ خَيْرُ دليلٍ علَى أَنَّهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ الذى أرْسَلَهُ اللَّه رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

اقْتَرَبَ الرَّجُلانِ منَ الرسُولِ ﷺ أَكْثَرَ وأَخَذَا يُمْعِنانِ النَّظَرَ وقالاَ لهُ :

ـ أَأَنْتَ مُحمدٌ ؟

قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ نَعَمْ .

قالا :

ـ وأَنْتَ أَحْمَدُ ؟

قالَ ﷺ :

ـ نَعَمْ .

قالَ الرَّجُلانِ :

ـ إنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ شَهَادَةٍ ، فإنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنَا بها آمَنَّا بِكَ وصدَّقْنَاكَ .

فقالَ لهما رسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ سَلانِي .

فقَالاَ :

ـ أَخْبِرْنا عَنْ أَعْظَمِ شَهَادَةٍ فِي كِتابِ اللَّه .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ (تعالَى) علَى نَبِيِّهِ

قَوْلُهُ (تَعالَى) :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[سورة آل عمران : ١٨]

فَلمَّا تَلاَ رسُولُ اللَّه ﷺ هذه الآيَة عَلَى الرَّجُلَيْنِ ، أَسْلَما وصدَّقَا رسُولَ اللَّه ﷺ ونطَقَا فى صدْقٍ ويَقِينٍ :

ـ الْحَمْدُ للَّه الَّذى هَدانَا لِهذا ومَا كُنَّا لنَهْتَدى لوْلاَ أَنْ هَدانَا اللَّهُ ، نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وأَنَّ مُحمداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ .

إِنَّ هذه الآيَةَ احْتَوَتْ عَلَى أَعْظَمِ شَهادَةٍ ، وهِى شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وهذِه الشَّهادَةُ هى جَوْهَرُ الإِسْلامِ .

فَقَدْ ظَلَّ الرسولُ ﷺ يدْعُو قَوْمَهُ إلى وَحْدَانيَّةِ اللَّهِ .

قالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ فى فَضْلِ هذهِ الآيةِ :

ـ كانَ حولَ الكَعْبَةِ ثلاثمائةٍ وستُّونَ صَنَماً ، فلمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ خَرَرْنَ سُجَّداً .

وعَنْ عبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ قالَ :

قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ يُجَاءُ بِصَاحِبِها يومَ الْقيامَةِ ، فيَقُولُ اللَّهُ (تعالَى) :

عَبْدِى عَهِدَ إلَىَّ وأَنا أَحَقُّ مَنْ وَفَّى ، أَدْخِلوا عَبْدِى الْجَنَّةَ .

وعَنْ أَنَسٍ عَنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ قالَ :

ـ مَنْ قَرأَ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائماً بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ عِنْدَ مَنَامِهِ ، خلَقَ اللَّهُ له سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يسْتَغْفِرُونَ له إلى يوْمِ الْقِيامَةِ .

وقَدْ تَضَمَّنَت الآيَةُ الْكريمَةُ إِشَارَةً بَلِيغَةً إِلَى فَضْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فالْعُلَمَاءُ هُمْ ورَثَةُ الأَنْبِياءِ ، الذين حفِظَ اللَّهُ بهِمْ دِينَهُ ، وفى هذه الآيَةِ دَليلٌ قاطِعٌ علَى فَضْلِ الْعِلْمِ وشَرَفِ الْعُلَمَاءِ وفَضْلِهِمْ .

فَإِنهُ لوْ كَانَ أَحَدٌ أَشْرفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لقَرنَهُمُ اللَّهُ بِاسْمِهِ واسْمِ ملائِكَتِهِ كمَا قَرنَ اسْمَ الْعُلَماءِ .

وقدْ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ الْعُلماءُ ورثَةُ الأنْبياءِ ، يُحبُّهُمْ أَهْلُ السَّماءِ ، وتَسْتغْفِرُ لَهُمُ الْحيتانُ فى الْبَحْرِ إذا ماتُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةَ .

وشَهادَةُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ بالْوَحْدانِيَّةِ والْعَدْلِ إرْشَادٌ لِعبَادِهِ أَنْ يُخْلِصُوا ، فى عِبادَةِ اللَّهِ (عزَّ وجَلَّ) ، وأنْ يتخَلَّصوا من كُلِّ شِرْكٍ بِاللَّهِ .

وأَمَّا شَهَادَةُ الْمَلائكَةِ وشَهَادَةُ أُولِى الْعِلْمِ ، فهى مُتَمثِّلَةٌ فى طَاعَتِهِمْ لأَوامِرِ اللَّه (تعالَى) وحْدَهُ ، والتَّسْليمِ بكُلِّ ما يَجيئُهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّه بدُونِ تَشَكُّكٍ ولا جدَالٍ .

فاللَّهُ (سُبْحانَهُ و تعالَى) هوَ الْواحِدُ الأَحَدُ ، وهوَ الْعَدْلُ الذى يعْدلُ بيْنَ النَّاسِ فى الدُّنْيا والآخِرَةِ .

فاللَّهُ (تعالَى) الْعَدْلُ هو الذى خَلَقَ الأَشْياءَ بالقِسْطِ بِميزَانٍ عَجيبٍ وتَوازُنٍ دَقيقٍ ، بِحَيْثُ لا تَبْدو هذه الأَشياءُ فى تَنَافُرٍ أَوِ اخْتِلافٍ .

وإِذا أَمْعَنَ الإِنْسانُ النَّظَرَ فى الْكَوْنِ وما يَحْوِيه من أَرْضٍ وسَمَاءٍ ونُجُومٍ وكَوَاكِبَ وبِحَارٍ ، لأَيْقَنَ أَنَّ مِيزَانَ الْخَلْقِ مُعْتَدِلٌ لا خَلَلَ فيه . فالْعُلَماءُ يُحَدِّثُونَنَا عَنْ إِعْجَازِ اللَّه فِى خَلْقِ الْكَوْن بِنِسَبٍ دَقِيقَةٍ وتَوَازُنٍ عَجِيبٍ .

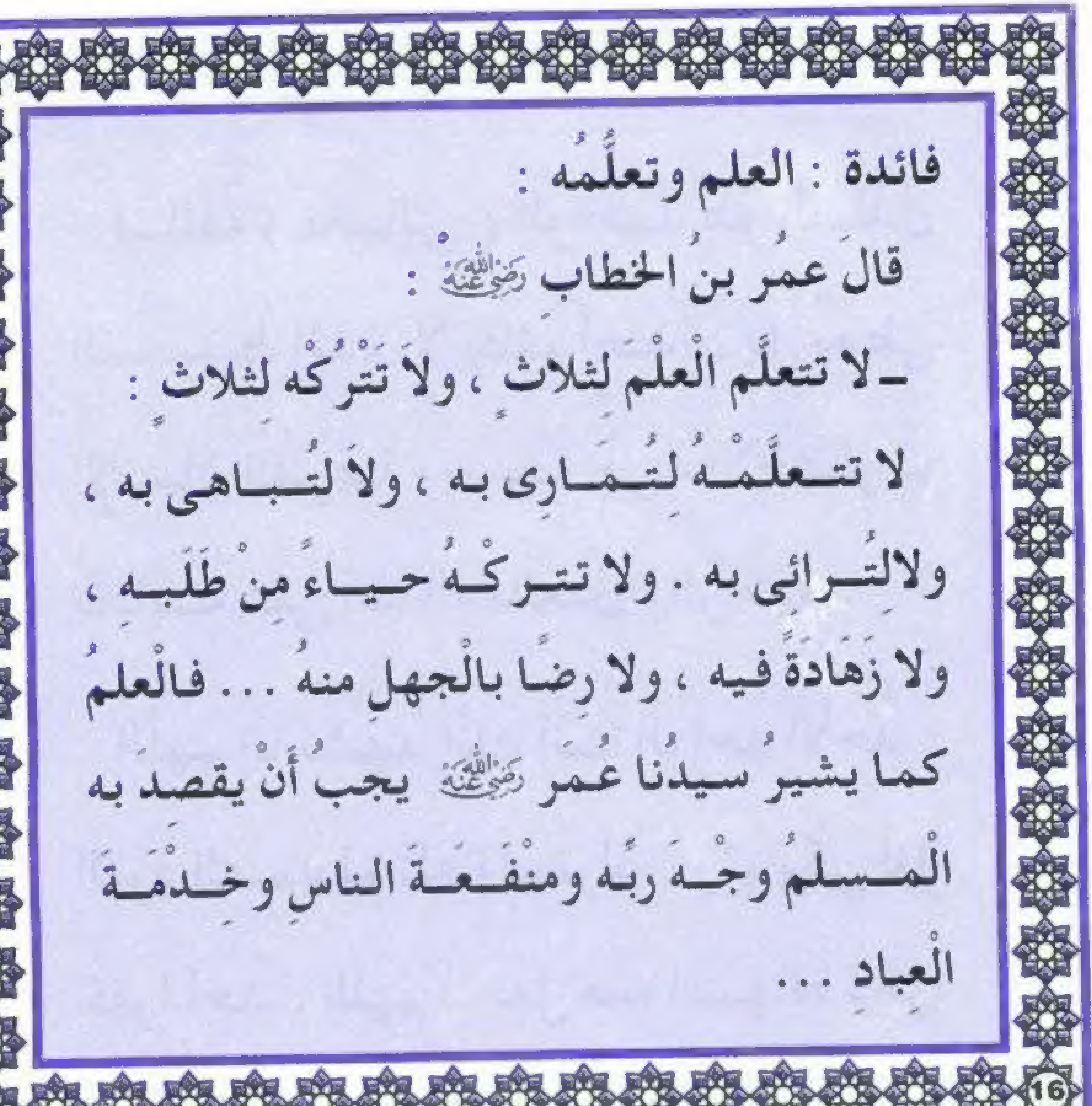
ومِنَ الآيَاتِ الْكَرِيمَةِ التى احْتَوَتْ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الآدَابِ والأَخْلاقِ قَوْلُهُ (تعالَى) :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة النحل : ٩٠]

فـاللَّهُ (تعـالَى) الْواحِـدُ هو الْعَـدْلُ
الْمُـقْـسِطُ الذى لا يَظْلِمُ أَحَـدًا ، بل يُعْطِى
الإِنسانَ الْفُرْصَةَ ويمنحهُ حُرِيَّةَ الاخْتِيارِ ثمَّ
يُحاسِبُهُ علَى أعْماله بالْعَدْلِ والرَّحْمَة .

اللَّهُمَّ إِنَّا نشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ ،
الْفَرْدُ الصَّمَدُ لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ ، ولَمْ يَكُنْ لَكَ
كُفُوًا أَحَدٌ ، اللهُمَّ فاجْعَلْ هذه الشَهادَةَ ذُخْرًا
لنا فى الدُّنْيـا ونجَاةً لنا فى الآخِـرَةِ ، فـإِنَّهـا
أعْظَمُ شَهادَةٍ فى كِتَابِكَ . اللهُمَّ آمِين . . .



فائدة : العلم وتعلُّمه :

قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

- لا تتعلَّم الْعلْمَ لثلاثٍ ، ولاَ تتْرُكْه لثلاثٍ :

لا تتعلَّمْهُ لِتُمَارِى به ، ولاَ لتباهى به ، ولالِتُرائِى به . ولا تتركْهُ حياءً منْ طَلَبِهِ ، ولا زَهَادَةً فيه ، ولا رِضًا بالْجهلِ منهُ ... فالْعلمُ كما يشيرُ سيدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجبُ أَنْ يقصدَ به الْمسلمُ وجْهَ ربِّه ومنْفَعَةَ الناسِ وخِدْمَةَ الْعِبادِ ...

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٥٩٢٢

الترقيم الدولى : ٦-٦٠٠-٢٦٦-٩٧٧